بسم الله الرحمن الرحيم

موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة [1]

الأستاذ الدكتور / غانم قدْوُري الحمَد

مقدمة

ينقسم البحث في الكتابة العربية إلى قسمين ؛ هما : بحث فني جمالي ، يُعنى بتحسين أشكال الحروف وإظهارها بشكل جميل متناسق ، يُعجب العين ويُرضي الذوق ، ويدخل في ذلك أنواع الخطوط العربية من الكوفي والنسخي ، وما يتفرع عنهما . وبحث لغوي ، يُعنى بدراسة العلاقة بين الرمز المكتوب والصوت المنطوق ، ويُعنى ببيان مقدار مطابقة المنطوق للمكتوب ، وتحديد مظاهر القصور في الكتابة عن تمثيل المنطوق تمثيلاً كاملاً . ويغلب أن يُسمى القسم الأول بعلم الخط ، والقسم الثاني بعلم الإملاء ، وقديماً سُمِّي أيضاً بالهجاء .

وهذا البحث يدخل في الدراسة اللغوية التاريخية للكتابة العربية ، من خلال تتبع النصوص القديمة والوقوف على ظواهرها الكتابية ، متمثلة برسم المصحف الذي تميز بنظام إملائي خاص ، مع موازنة ذلك النظام بالنقوش العربية المكتوبة على الحجر التي ترجع إلى العصر الذي يرجع إليه رسم المصحف ؛ للوقوف على مقدار العلاقة بين النظام الإملائي المستعمل في رسم المصحف ، والنظام الإملائي المستخدم في النقوش العربية .

إن هذا البحث يهدف إلى توضيح موقع (رسم المصحف) في تاريخ تطور الكتابة العربية ، وهو يعتمد في ذلك على حقيقة تتمثل في أن رسم المصحف حمل خصائص الإملاء العربي في الوقت الذي كُتِبَ فيه المصحف ، وأن النصوص العربية التي كُتبت في تلك الفترة تحمل الخصائص الإملائية نفسها التي حملها رسم المصحف ، كما يتضح من النقوش العربية التي كُتب بعضها قبل العصر الإسلامي وكُتب بعضها الآخر في السنوات القريبة من عصر كتابة المصحف .

إن الربط بين رسم المصحف والنصوص العربية الأخرى المكتوبة في وقت كتابة المصاحف سوف يساعد في فهم الظواهر الإملائية التي تميز بها رسم المصحف على نحو أكثر صلة بواقع الكتابة ، كما أن هذا الربط سوف يساعد في تفهم الأصول التاريخية لكثير من خصائص الإملاء العربي الذي نكتب به اليوم وكَتَبَ بن مَن قبلنا منذ قرون طويلة .

إن علماء العربية المتقدمين كانوا إذا ذكروا رسم المصحف ينصون على أنه

---

1 (?) بحث لغوي ؛ منشور في مجلة المورد ، المجلد الخامس عشر ، العدد الرابع ، بغداد 1407هـ=1986م . وكتاب (أبحاث في علوم القرآن) للأستاذ الدكتور غانم الحمد ، طبع دار عمار / الأردن 1426هـ=2006م .

يُلـتزم به في كتابة المصـاحف ولكن لا يُقـاس عليـه ، أي لا يسـتخدم في ما سـواها . فقـال ابن درسـتويه (عبد الله بن جعفر ت347 هـ) في كتـاب الكُتَّاب : " ووجـدنا كتـاب الله - عز وجل - لا يُقـاسُ هجـاؤه ، ولا يُخـالف خطّه ، ولكنه يُتَلَقَّى بالقبول على ما أودع المصحف ... "[1] .

وذكر السـيوطي (جلال الـدين عبد الـرحمن بن أبي بكر ت911 هـ) في كتابه " همع الهوامع " أن ابن درستويه قال : " خطـان لا يُقـاس عليهما ؛ خط المصحف والعروض "[2] .

وانتهى الأمر بعلماء العربية إلى القول بوجود ثلاثة نظم كتابية في العربيـة ، على نحو ما قال أبو حيـان الأندلسي (محمد بن يوسف ت 754 هـ) : " فقد صـار الاصـطلاح في الكتابة على ثلاثة أنحـاء : اصـطلاح العـروض ، واصـطلاح كتابة المصحف ، واصطلاح الكُتَّاب في غير هذين "[3] .

إن هـذا التقسـيم ينطبق على واقع الكتابة في الظـاهر فقـط ، لأن رسم المصحف يمثل مرحلة في تاريخ الكتابة العربية ، لا نظامـاً مسـتقلاً ، ويشـارك رسم المصـحف في ذلك كـلُّ ما كتب بالعربية في الفـترة الـتي يرجع إليهـا ، وهـذا ليس تقريراً مسـبقاً لنتـائج البحث بقـدر ما هو تحديد لوجهته وبيـان لمنهجه ، وسوف أسلكُ في البحث خطة تشتمل على ثلاثة مباحث ، هي :

المبحث الأول : رسم المصحف : أصوله التاريخية وخصائصه الإملائية .

المبحث الثاني : النقوش العربية القديمة : تاريخها وقراءتها .

المبحث الثالث : الظواهر الإملائية المشتركة بين رسم المصحف والنقـوش العربية القديمة .

---

1 (?) كتاب الكتاب ، ص16 .
2 (?) همع الهوامع 2/242 .
3 (?) انظر : المصدر نفسه 2/242 .

المبحث الأول

رسم المصحف : أصوله التاريخية ونظمه الإملائية

تعـني عبـارة (رسم المصـحف) طريقة كتابة كلمـات القـرآن الكـريم في المصحف ، كما كتبها أصحاب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - . والصورة المعروفة للمصحف وطريقة رسم الكلمات ترجع إلى عصر الخليفة الراشــدي الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وإن كانت كتابة القرآن قد تمت منذ زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وقبل أن أوضح خصــائص رسم المصــحف من الناحية الإملائية ســوف أتتبع تاريخ كتابة القرآن الكريم حتى يقف القارئ على الأصول التي يمتد إليها رسم الكلمات في المصحف ، ويعرف الحقبة الزمنية التي يرجع إليها .

المطلب الأول : الأصول التاريخية لرسم المصحف :

كـان رسـول الله - صـلى الله عليه وسـلم - هو الـذي سَـنَّ كتابة القـرآن ، وكانت وسائل الكتابة في بلاد الحجاز آنذاك بدائية إلى حد كبير ، ولكن ذلك لم يصرف النـبي - صـلى الله عليه وسـلم - عن كتابة القـرآن ، إدراكاً منه لأهمية الكتابة العظيمة في حفظ نص القــرآن . لكن رســول الله - صــلى الله عليه وسلم - لم يكتب القرآن بيده ، بل كان يستعين بعدد من الصحابة الذين أتقنوا الكتابة ، كانوا يُسَمَّوْنَ بكتَّاب الوحي[1] .

وكان زيد بن ثابت الأنصاري ألـزم الصـحابة لكتابة الـوحي في حيـاة رسـول الله - صلى الله عليه وسلم -[2] فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل عليه الوحي يقول : " ادع لي زيداً ، ولْيَجِئْ بـاللوح والـدواة " . وقـال زيد بن ثـابت : " كنتُ جـارَ رسـول الله - صـلى الله عليه وسـلم - فكـان إذا نـزل الوَحْيُ أرسل إليَّ فكتبتُ الوَحْيَ "[3] .

وجاء في كتب الحديث أن رسـول الله - صـلى الله عليه وسـلم - كـان كلما نزل عليه من القرآن شيء دعا بعض مَن يكتب لـه ، فيـأمر بكتابتـه ، ويقـول : ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُعَيِّنها لهم[4] . وبذلك تمت كتابة القرآن في وقت نزوله ، لكنه كان مفرَّقاً في القطع الـتي كُتب عليها ولم يُجمع في كتـاب واحـد . وقد ذكر الطـبري في تفسـيره أن المحـدِّث التـابعي الكبـير محمد بن شـهاب الزهـري (ت125 هــ) قـال : " قُبِضَ رسـول الله - صـلى الله عليه وسلم - ولم يكن القرآن جُمـعَ في شـيء ، وإنما كـان في الكرانيف والعُسُـب

---

1 (?) انظر عن كتاب الوحي : ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب 1/68 ، وابن حجر : فتح الباري 9/22 ، ونصر الهوريني : المطالع النصرية ، ص12-14 .

2 (?) ابن عبد البر : الاستيعاب 1/68 .

3 (?) البخاري : الجامع الصحيح 6/227 .

4 (?) ابن أبي داود : كتاب المصاحف ، ص3 .

"[1] .

ونقل عدد من المؤرخين والمحدثين رواية توضح مقـدار عناية رسـول الله - صـــلى الله عليه وســـلم - بكتابة القـــرآن وحرصه على ضـــبط ما يكتبه كَتَبـــةُ الـــوحي ، فقد جـاء في تلك الرواية عن زيد بن ثـابت أنه قـال : " كنتُ أكتبُ الوحي عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يملي عليَّ ، فإذا فـرغتُ قال : اقرأه فأقرأهُ فإن كان فيه سقطٌ أقامه ، ثم أخرجُ به إلى الناس "[2] .

وقد تم جمع القرآن في صحف منظمة يضمها لوحان أو دفتان ، على شــكل كتاب ، بعد مـدة يسـيرة من وفـاة النـبي - صـلى الله عليه وسـلم - لا تتجـاوز السنة ، فبعد أنْ وليَ الخلافة أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - حدثت حروب الردة ، الـتي انتهت بـدخول أهل الجزيـرة العربية كلها في الإسـلام ، لكن ذلك أدى إلى استشـهاد عـدد من أصـحاب رسـول الله - صـلى الله عليه وسـلم - ، وكانت معركة اليمامة أكثر تلك الحروب ضراوة ، وكـان ثمن النصر فيها مئـات الشهداء ، كان من بينهم نحو خمسين من حملة القرآن[3] .

إن المســـلمين لما أصـــيبوا باليمامة فـــزع أبو بكر - رضي الله عنه - إلى القرآن ، وخاف أن تهلك منه طائفـة ، وإنما كـان في العسب والرقـاع ، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم ، حتى جُمِعَ على عهد أبي بكر - رضي الله عنه - [4] .

وكـــان زيد بن ثـــابت ، كـــاتب الـــوحي ، هو الـــذي تحمل العبء الأكـــبر لجمع القرآن ، وقد نقل علماء الحـديث وأهل التـاريخ رواية مفصـلة عن زيد بن ثـابت تحكي قصة جمع القـــــرآن ، لعل في إيرادها غنـــــاء عن تكلف القـــــول في موضوعها ، وهي[5] :

" قـال زيد بن ثـابت : أرسل إليَّ أبو بكر مقتل أهل اليمامـة ، فـإذا عمر بن الخطـاب عنـده ، فقـال أبو بكر - رضي الله عنه - إن عمر أتـاني ، فقـال : إن القتل قد اسـتحرَّ يـوم اليمامة بقـرَّاء القـرآن ، وإني أخشى أن يسـتحر القتل بقرَّاء القرآن في المواطن كلها ، فيـذهب كثـير من القـرآن ، إلا أن تجمعـوه ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقال أبو بكر : قلت لعمر : كيف نفعل شـيئا لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال عمر : هو - والله - خير ،

---

1 (?) جامع البيان 1/28 ، وانظر : السيوطي : الإتقان 1/164 . والكرانيف : أصول السعف الغلاظ العراض ، الواحدة كرنافة . والعسب جمع عسيب ، وهو من العسف فوق الكرب لم ينبت عليه الخوص . (انظر : ابن منظور : لسان العرب 11/207 كرنف ، و2/89) .

2 (?) البسوي : المعرفة والتاريخ 1/377 ، والصولي : أدب الكتاب ، ص165 ، والسمعاني : أدب الإملاء والاستملاء ، ص77 .

3 (?) ينظر : خليفة بن خياط : تاريخ خليفة 1/90 .

4 (?) أبو شامة : المرشد الوجيز ، ص64 .

5 (?) انظر : البخاري : الجامع الصحيح 6/89 و6/225 و9/92 ، وابن أبي داود : كتاب المصاحف ص6-8 ، وابن النديم : الفهرست ، ص27 ، والداني : المقنع ، ص3 ، وأبو شامة : المرشد الوجيز ، ص48 ، والزركشي : البرهان 1/233 ، والسيوطي : الإتقان 1/165 .

فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح صدري لذلك ، ورأيت الذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب ، عاقل ، لا نَتَّهمكَ ، وقد كنتَ تكتبُ الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتتبَّعِ القرآن فاجمعه . قال زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليَّ ما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قال أبو بكر : هو - والله - خير ، فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما .

قال زيد : فقمت فتتبعت القرآن ، أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال[1] حتى وجدت آخر سورة التوبة (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ)[2] حتى خاتمة براءة مع خزيمة بن ثابت الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره[3] ، فألحقتها في سورتها .

وكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ، حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر " .

وكان ترتيب الآيات في السور ، وتتابع السور في المصحف قد جرى على نحو ما عرف الصحابة ذلك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؛ فقد قال مالك بن أنس (ت 179 هـ) رحمه الله : " إنما أُلِّفَ القرآن على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "[4] . والتأليف هنا معناه الترتيب ، وفي اللغة : ألفت الشيء تأليفاً ، إذا وصلت بعضه ببعض ، وجمعه بعضه إلى بعض[5] . وهكذا حُفِظَ نَصُّ القرآن من النقصان والنسيان ، وكُتِبَ على نحو ما كُتِبَ في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، لكنه كُتِبَ مجموعاً بعد أن كان مفرقاً ، ولم يأمر أبو بكر إلا بكتابة ما كان مكتوباً من قبل[6] .

وكان جمع القرآن من جلائل الأعمال التي ازدان بها عهد الصدِّيق ، وإن لم يكن أجلَّها[7] . وقد قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في تقدير ذلك العمل : " رحم الله أبا بكر ، كان أول من جمع القرآن بين اللوحين " ، وجاء في رواية أخرى أنه قال : " أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر ، فإنه أول من جمع القرآن بين اللوحين "[8] .

---

1 (?) ذكر ابن حجر (فتح الباري 9/15) : أن الواو في قوله (وصدور الرجال) بمعنى (مع) ، أي أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدور .

2 (?) سورة التوبة : 128 .

3 (?) قوله (لم أجدهما مع أحد غيره) أي مكتوبة ؛ وذلك لأن كثيراً من الصحابة كانوا يحفظون القرآن ، وكان زيد بن ثابت أحدهم .

4 (?) الداني : المقنع ، ص8 ، وأبو شامة : المرشد الوجيز ، ص46 .

5 (?) ابن منظور : لسان العرب 10/252 . مادة (ألف) .

6 (?) انظر : ابن حجر : فتح الباري 9/13 .

7 (?) محمد حسين هيكل : الصديق أبو بكر ، ص16 .

8 (?) ابن أبي داود : كتاب المصاحف ، ص5 .

وبعد ما يقرب من خمسة عشر عاماً من تـاريخ جمع القـرآن في الصـحف ، قـام عـدد من الصـحابة بنقل عـدة نسخ من الصـحف ، أرسـلت إلى الأمصـار الإسـلامية خـارج المدينة المنـورة لينقل منها النـاس مصـاحفهم ؛ ففي خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنهم - وبعد اتساع بلاد المسلمين وازدياد عددهم كثيراً ، ظهرت بوادر الاختلاف في قراءة القرآن الكـريم على نحو أقلق علمـاء الصحابة وأولي الأمر منهم ، فما كان من الخليفة إلا أن يأمر بنسخ المصـاحف من الصحف ونشرها في البلـدان ، لتكـون المصـاحف الـتي بأيـدي المسـلمين واحدة في الترتيب والرسم .

والرواية القديمة لنسخ المصاحف ، كما نقلها البخاري وغـيره من المحـدِّثين والمـؤرخين ، هي أن أنس بن مالـك ، صـاحب رسـول الله - صـلى الله عليه وسلم - وخادمه ، قال : " إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يُغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فأفزع حذيفةَ اختلافُهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصاري .

فأرسل عثمـــان إلى حفصة أن أرســلي إلينا بالصـــحف ، ننســخها في المصـاحف ، ثم نَردّها إليـكِ ، فأرسـلت بها حفصة إلى عثمـان . فـأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الـرحمن بن الحـارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشـيين الثلاثـة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا .

حـتى إذا نسـخوا الصـحف في المصـاحف رد عثمـان الصـحف إلى حفصـة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرق "[1] .

وبذلك العمل الكبير والمهم في تـاريخ القـرآن أخذ المصـحف شـكله الموحد في الرسم والـترتيب ، وصـار كل مصـحف أرسـله الخليفة من المدينة إماماً يقتدي به أهل البلـدة الـتي أرسل إليها ومن حولهـا ، وصـارت تلك المصـاحف تُعرف بالمصاحف العثمانية ، نسبة إلى سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لأنه هو الذي أمر بنسخها وإرسالها إلى البلدان خارج الجزيرة العربية . وصـار رسم الكلمـات فيها يعـرف بالرسم العثمـاني ، وتلك المصـاحف هي أصل لكل المصاحف الموجودة اليوم .

---

1 (?) البخاري : الجامع الصحيح 6/226 ، وابن داود : كتاب المصاحف ، ص18 ، وابن النديم : الفهرست ، ص27 ، والداني : المقنع ، ص5 ، وأبو شامة : المرشد الوجيز ، ص49 ، وابن الأثير : الكامل 2/55 ، والزركشي : البرهان 1/236 ، وابن خلدون : العبر 2/1019 ، والسيوطي : الإتقان 1/169 .

وقد حافظ المســلمون على رسم الكلمــات في المصــحف كما وقعت في المصاحف العثمانية الأولى ، حتى وإن كان في بعضها مخالفة لما اصطلح عليه علمــاء العربية بعد ذلك من قواعد إملائيــة ، وقد سـُئِل الإمــام مالك بن أنس (ت 179 هــ) : " أرأيت مَن اسـتكتبَ مصـحفا اليـوم أتـرى أن يُكتبَ على ما أحدث الناسُ من الهجاء اليوم ؟ فقال : لا أرى ذلـك ، ولكن يكتب على الكَتْبَـةِ الأولى " . قـال أبو عمـرو الـداني : " ولا مخـالفَ له في ذلك من علمـاء الأمة "[1] .

وإلى جــانب حــرص المســلمين على المحافظة على الرسم العثمــاني في كتابة المصاحف فـإن عـدداً كبـيراً من العلمـاء ألفـوا كتباً خاصة لوصف طريقة كتابة الكلمـات في المصـاحف العثمانيـة ، منذ بـدء عصر التـدوين في العلـوم الإسـلامية[2] . لعل أشـهرها كتـاب (المقنع في معرفة مرسـوم مصـاحف أهل الأمصار) لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (ت 444 هـ)[3] .

ويستطيع الدارس اليوم أن يقف على صورة رسم الكلمـات في المصـاحف العثمانية من خلال مصـدرين اثـنين ؛ الأول : المصـاحف القديمة الـتي تحتفظ بعض المكتبـــات العالمية بنسخ منهــــا ، والثــــاني : الكتب المؤلفة في رسم المصـــحف ، وهي تقـــدِّم وصفاً دقيقـــاً ومفصلاً لطريقة رسم الكلمـــات في المصاحف الأولى ، يعتمد على المعاينة المباشرة والنظر في تلك المصاحف .

ويتضح من العرض السابق أن رسم الكلمات في المصــاحف العثمانية يرجع في الأصل إلى ما كان مرسوماً في الصحف التي جُمِعَ فيها القــرآن في خلافة أبي بكر الصـديق - رضي الله عنه - وهـذه ترجع أيضاً إلى ما كُتِبَ في الرقـاع بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ورسم المصحف بــذلك يمثل الكتابة العربية في عصر ظهـور الإسـلام ، وهو يحمل خصـائص تلك الكتابـة ، على ما سيتضح من الموازنة بين رسم المصحف والكتابات العربية القديمـة ، إن شـاء اللـــه . وقبل أن نعقد تلك الموازنة ســوف أوضح خصــائص رسم المصــحف الإملائية .

المطلب الثاني : خصائص رسم المصحف الإملائية :

اتخذ المؤلفـون في رسم المصـحف في وصف هجـاء الكلمـات في الرسم العثمـاني اتجـاهين : الأول : يقـوم على جمع الأمثلة المتشـابهة في الموضـوع الواحد في فصل معين ، وبذلك يتألف الكتاب من عدد من الفصول الـتي تضم أوجه الرسم كافــة ، ومن أمثلة هــذا الاتجــاه من كتب الرسم كتــاب " هجــاء

---

1 (?) الداني : المقنع ، ص9-10 .

2 (?) ينظر أسماء أولئك العلماء وأسماء كتبهم في كتابنا : رسم المصحف ص 139-157 ، طبع دار عمار ، الأردن .

3 (?) طبع ثلاث مرات ؛ الطبعة الأولى في استانبول سنة 1932 بتحقيق أوتو برتزل ، والثانية في دمشق سنة 1940 بتحقيق محمد أحمد دهمان ، والثالثة في القاهرة سنة 1978 كتب عليها أنها بتحقيق محمد الصادق قمحاوي .

مصاحف الأمصار " لأبي العباس أحمد بن عمـار المهـدوي (ت بعد 430 هــ)[1] ، وكتاب " البديع في معرفة ما رسم في مصـحف عثمـان بن عفـان " لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن معاذ الجهني (ت في حدود 442 هـ)[2] ، وكتاب " المقنع في معرفة مرسـوم مصـاحف أهل الأمصـار " لأبي عمـرو عثمـان بن سعيد الداني (ت444 هـ) . والاتجـاه الثـاني : يقـوم على تتبع الكلمـات الـتي رُسِـمَت بطريقة لا تطـابق النطــق . ويتم ذكرها بحسب ورودها في الســور ، فيبوّب الكتاب الذي يسير في هـذا الاتجـاه على السـور مرتبة على ترتيبها في المصحف ، وأشهر كتب هذا الاتجاه كتـاب " التبـيين لهجـاء التنزيل " لأبي داود سليمان بن نجاح (ت 496 هـ)[3] .

وقد حصر بعض العلماء معرفة رسم المصـحف في خمسة أنـواع أو فصـول تجمع كل ما جاء من كلمـات مكتوبة على نحو يخـالف اللفـظ ، وهي كما قـال ابن وثيق الأندلسي (إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن ت654 هـ) :

" اعلم - وفقك الله - أن رسم المصــحف يفتقر إلى معرفة خمسة فصــول عليها مداره :

الأول : ما وقع من الحذف .   الثاني : ما وقع فيه من الزيادة .

الثالث : ما وقع فيه من قلبِ حرفٍ إلى حرف .   الرابع : أحكام الهمزات .

الخامس : ما وقع فيه من القطع والوصل "[4] .

وسوف أنقل من كتب رسم المصحف أمثلة توضِّح هذه الأنواع الخمسة ، ثم أُتبعها بدراسة ثلاث صفحات من مصاحف قديمة ، متتبعاً ما ورد فيها من أمثلة تطابق ما ورد في كتب رسم المصحف ليكون ذلك دليلاً بين يدي القـارئ على صـدق ما ذكـره العلمـاء حين وصـفوا طريقة رسم الكلمـات في المصـاحف القديمة .

أولاً : أمثلة ما وقع في رسم المصحف من الحذف :

تنحصر الأمثلة الـتي وقع فيها حـذف شـيء من هجائها في ما كـان فيه أحد حروف المد الثلاثة : الألف والواو والياء ، حيث وقع الحذف في هـذه الحـروف في مواضع مخصوصة .

فمن الكلمات التي حذفت منها الألف (يـا) الـتي للنـداء ؛ حيث تتصل اليـاء بالاسم بعدها ؛ نحـو : (يقـوم = يا قـوم) و (يـرب = يا رب) و (ينـوح = يا

1 (?) قام بتحقيقه محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، وقد نشر في مجلة معهد المخطوطات العربية في القاهرة ، المجلد 19 ، الجزء الأول 1973م .

2 (?) مخطوط ، وقد قمت بتحقيقه ، وطبع بدار عمار سنة 2000م .

3 (?) حققه الدكتور أحمد شرشال ، وطبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة سنة 1421هـ .

4 (?) ابن وثيق : الجامع ، ص29 ، وينظر : السيوطي : الإتقان 4/174 .

نوح) و (يأيها = يا أيها) ، وغير هذه الأمثلة من هذا الباب كثير ، ومثل (يـا) في الحذف (ها) الـتي للتنبيـه ؛ مثل (هـذا = هـاذا) و (هـذان = هـاذان) . وكذلك رسموا التثنية المرفوعة بغير ألف ؛ نحو : (رجلن = رجلان) ، ومثل : (يحكمن = يحكمـان) ، وكـذلك الجمع السـالم الكثـير الـدور في المـذكر والمؤنث جميعاً ؛ نحو : (العلمين = العالمين) و (الصـبرين = الصـابرين) و (المسلمت = المسلمات) و(الظلمت = الظلمات) . ومن ذلك أيضاً حـذف ألف نون الجماعة إذا اتصل بها ضمير ؛ نحو : (علمنه = علمناه) و (أرسلنك = أرسـلناك) . وهنـاك أمثلة أخـرى كثـيرة مطـردة أو مفـردة لم ترسم فيها الألف أستطيل ذكرها ، ويمكن الاطلاع عليها في كتب رسم المصحف[1] .

وحُـذِفَتِ اليـاء في مثـل : (الـداع = الـداعي) و (المهتد = المهتـدي) و (سـوف يـؤت الله = سـوف يـوتي اللـه) و (فـارهبون = فـارهبوني) و (أطيعون = أطيعوني) و (النبين = النبيين) و (الأمين = الأميين)[2] .

وحُذِفَتِ الواو في مثل (ويدع الإنسن = ويـدعو الإنسـان) ، و (يمح الله = يمحو اللـه) و (يسـتون = يسـتوون) و (الغـاون = الغـاوون) و (داود = داوود)[3] .

ثانياً : أمثلة ما وقع في رسم المصحف من الزيادة :

الحروف الـتي تُـزاد في الخط هي الألف والـواو واليـاء . فمن مواضع زيـادة الألف آخر الكلمات التي تنتهي بواو سواء أكـانت فعلاً أم اسـماً ، مثل (يـدعوا = يـدعو) و (ءامنـوا = ءامنـو) و (كاشـفوا العـذاب = كاشـفو العـذاب) ، وكذلك زيدت في (مائة = مئة) ، وفي مثل : (لأاوضعوا = لأوضعو)[4] .

وزيدت الواو في عدد من الكلمـات ؛ منهـا : (أولئك = ألائـك) و (أولـوا = ألو) و (سأوريكم = سأريكم)[5] .

وزيدت الياء في عدد من الكلمات ؛ منها : (أفإين = أفإن) و (من نبإى = من نبإ) و (تلقائ = تلقاءِ) ، و (بأييد = بأيد) و (بأييكم = بأيكم)[6] .

ثالثاً : أمثلة ما وقع في رسم المصـــحف من قلب حــــرف إلى حرف :

من ذلك رسمهم الألف واواً في مثل : (الصلوة = الصـلاة) و (الزكـوة = الزكـاة) ، ورسـمهم الألف يـاءً في مثل : (أتى = أتـا) و (على = علا) و (الضحى = الضحا) و (الذكرى = الذكرا) . ومن هذا البـاب أيضاً ما رسم من

---

1 (?) ينظر : المهدوي : هجاء مصاحف الأمصار ، ص99-109 ، والداني : المقنع ، ص10-28 .
2 (?) المصدران السابقان ، ص111-112 ، وص30-34 .
3 (?) المصدران السابقان ، ص110 ، وص35 .
4 (?) المصدران السابقان ، ص95 ، وص42-45 .
5 (?) المصدران السابقان ، ص99 ، وص53 .
6 (?) المصدران السابقان ، ص97 ، وص47 .

تـاء التـأنيث بالتـاء مـرة وبالهـاء أخـرى ؛ مثل : (رحمة = رحمت) و (نعمة = نعمت) و (كلمة = كلمت) و (معصية = معصيت)[1] .

رابعاً : أمثلة الكلمات المهموزة في رسم المصحف :

لرسم الهمزة أحكام كثيرة فصلها علمـاء رسم المصـحف ، وهي جارية على قيـاس مطـرد ، سـوى كلمـات معـدودات جـاءت على غـير القيـاس ، منها (الضعفؤا = الضعفاء) و (الملؤا = الملأ) و (نشـؤا = نشـاء) و (يعبـؤا = يعبأ) و (نبؤا = نبأ) ، ومنها : (أفإين = أفإن) و (أولئك = ألائك) و (إيتائ = إيتاء) وما أشبه ذلك[2] .

خامساً : أمثلة المقطوع والموصول في رسم المصحف :

الأصل في الخط أن تكتب كل كلمة منفصلة عما بعدها ، وقد جاءت كلمـات قليلة الحروف مقطوعة مرة ومفصـولة أخـرى ، في رسم المصـحف ، منهـا : (أن لا = ألاّ) و (من ما = مما) و (عن من = عمن) و (في ما = فيمـا) و (لكي لا = لكيلا) و (كل ما = كلما) وما أشبه ذلك[3] .

* * *

---

1 (?) المصدران السابقان ، ص 86-90 ، 76 ، وص 54 ، 63 ، 77 .
2 (?) المصدران السابقان ، ص90-94 ، وص51-62 .
3 (?) المصدران السابقان ، ص81-86 ، وص 68-77 .

هذه خلاصة موجزة للظواهر الإملائية التي تميز بها رسم المصحف ، ولست بصــدد البحث في الأصــول اللغوية لهــذه الظــواهر[1] ، إنما أريد أن أتتبع هــذه الظــــواهر في النصــــوص الكتابية الــــتي ترجع إلى العصر الــــذي كُتبت فيه المصـاحف لأول مـرة ، وقد ذكـرت هـذا من قبـل ، وسـوف أعـرض هنا ثلاث صفحات من مصاحف قديمة ؛ ليقف القارئ على بعض الظواهر الإملائية الـتي ذكرت أمثلتها من كتب رسم المصحف ، وسـأكتفي بكتابة الكلمـات الـتي فيها ظواهر إملائية متميزة بكتابتها بين قوسين معقـوفين على حسب نطقهــا ، من غــير تعليق عليها طلبــاً للإيجــاز ، واطمئناناً إلى أن القــارئ يــدرك الظــاهرة الإملائية من خلال نظرة في الصورة المكتوبة بين المعقوفين :

أ- صفحة من مصحف قديم مكتوب على الرق بالخط الكوفي ، محفوظ في مكتبة مرقد الإمــام علي - رضي الله عنه - في النجف[2] ، وتحتــوي الصــفحة أواخر سورة طه ، وأوائل سـورة الأنبيـاء ، وهـذا نص كلماتهـا ، مع ملاحظة أن نقاط الإعجام وعلامات الحركات وأرقام الآيات كلها مضــافة إلى النص (انظر الصفحة : صورة رقم 1) :

1 من قبل أن نذل ونخزى [نخزا] (134) قل كل متربص فتربصوا [فتربصو]
2 فستعلمون من أصحب [أصحاب] الصراط السوي ومن
3 اهتدى [اهتدا] (135) . الأنبياء ، مائة وإحدى عشرة[3]
4 بسم [باسم] الله الرحمن [الرحمان] الرحيم . اقترب للناس حسابهم
5 وهم في غفلة معرضون (1) ما يأتيهم من ذكر من
6 ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (2) لهية [لاهية]
7 قلوبهم وأسروا النجوى [النجوا] الذين ظلموا [ظلمو] هل
8 هذا [هاذا] إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصر -
9 ون (3) قل [قال] ربي يعلم القول في السماء والأرض و
10 هو السميع العليم (4) بل قالوا [قالو] أضغث أحلم [أحلام] بل
11 افتريه [افتراه] بل هو شاعر فليأتنا بأييه [بآية] كما أرسل ا -
12 لأولون (5) ما ءامنت قبلهم من قرية أهلكنها [أهلكناها] أ -
13 فهم يؤمنون (6) وما أرسلنا قبلك إلا رجلا [رجالا] نوحي
14 إليهم فسئلوا [فاسألو] أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (7)
15 وما جعلنهم [جعلناهم] جسدا لا يأكلون الطعام وما كا -
16 نوا [كانو] خالدين (8) ثم صدقنهم [صدقناهم] الوعد فأنجينهم [فأنجيناهم] ومن
17 نشاء وأهلكنا المسرفين (9) لقد أنزلنا إليكم كتبا [كتابا]

---

1 (?) حول هذا الموضوع يمكن مراجعة الفصل الرابع من كتاب (رسم المصحف : دراسة لغوية) ، ص197-383 ، طبعة دار عمار ، الأردن .

2 (?) ينظر وصفاً موجزاً لهذا المصحف في كتاب : رسم المصحف ، ص162 . المورد ، العدد الرابع ، مج 15 ، 1986م .

3 (?) (الأنبياء) اسم السورة ، و (مائة وإحدى عشرة) إشارة إلى عدد آياتها .

إن الكلمات المكتوبة بين القوسين المعقوفين كلها من الأمثلة التي سبق أن نقلنا ما يشبهها من كتب رسم المصحف ، ولا أجد ضرورة للتعليق هنا ، اللهم إلا ما ورد في السطر (11) حيث جاءت كلمة (بأييه) مرسومة بياءين ، وهذا مذهب معروف في رسم المصحف ، ذكرنا من أمثلته كلمة (بأييد)[1] . وإلا ما جاء في آخر الأسطر (8-11-12-15) من تجزئة الكلمة بين سطرين ، وهذه ظاهرة كانت شائعة في رسم المصحف وفي الكتابات العربية القديمة ، وسوف أذكر هذه القضية بعد أن أتحدث عن النقوش العربية القديمة وظواهرها الإملائية .

ب- صفحة من بقايا مصحف قديم مكتوب على الرق ، محفوظة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، وتحتوي الصفحة آيات من آخر سورة الإسراء ، وهذا نص كلماتها (ينظر الصفحة : صورة رقم 2) :

1 اد أن يستفزهم من الأرض فأغرقنه [فأغرقناه] و
2 من معه جميعا (103) وقلنا من بعده لبني إسرءيل [إسراءيل] ا -
3 سكنو [اسكنوا] الأرض فإذا جاء وعد الآخر -
4 ة جئنا بكم لفيفا (104) وبالحق أنزلنه [أنزلناه] وبالحق نزل
5 وما أرسلنك [أرسلناك] إلا مبشرا ونذيرا (105) وقر -
6 ءانا فرقنه [فَرَقْنَاهُ] لتقرأه على [علا] الناس على [علا] مكثٍ
7 ونزلنه [نزلناه] تنزيلا (109) قل ءامنوا به أو لا تؤمنوا [تؤمنو] إن
8 الذين أوتوا [أوتو] العلم من قبله إذا يتلى
9 عليهم يخرون للأذقن [للأذقان] سجدا (107) ويقولون سبحن [سبحان].
10 ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (108) ويخرون
11 للأذقن [للأذقان] يبكون ويزيدهم خشوعا (109) قل ا -
12 دعوا [ادعو] الله أو ادعوا [ادعو] الرحمن [الرحمان] أيا ما
13 تدعوا [تدعو] فله الأسماء الحسنى [الحسنا] ولا تجهر بصلتك [بصلاتك]
14 ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك [ذالك] سبيلا (110) وقل
15 الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن [له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذي وكبره تكبيرا][2]

---

1 (?) انظر في هذه الظاهرة وتعليلها كتاب : رسم المصحف ، ص332-339 .

2 (?) ما بين المعقوفين تكملة السورة ، وهي ليست في الصفحة التي أوردنا صورتها ونقلنا كلماتها هنا .

جـ- صفحة من مصحف قديم مكتوب على الرق ، عثر عليه في جامع عمـرو بن العـاص - رضي الله عنه - في القـاهرة القديمـة ، وهو الآن محفـوظ بـدار الكتب المصرية تحت رقم (139 مصاحف)[1] ، وتحتوي هذه الصفحة على آخر سورة الأحقاف ، وأول سورة القتال (وتسمى سـورة محمد - صـلى الله عليه وسلم - أيضاً) (ينظر الصفحة : صورة رقم 3) ، وهذا نص كلماتها :

1 الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يو -
2 م يرون ما يوعدون لم يلبثوا [يلبثو] إ -
3 لا ساعة من نهار بلغ [بلاغ] فهل يهلك
4 إلا القوم الفسقون [الفاسقون] (35)
5 بسم [باسم] الله الرحمن [الرحمان] الرحيم ا -
6 لذين كفروا [كفروا] وصدوا [صدو] عن سبيل
7 الله أضل أعملهم [أعمالهم] (1) والذين ءا -
8 منوا [ءامنوا] وعملوا [عملو] الصحلت [الصالحات] وءامنو -
9 ا [ءامنوا] بما نزل على [علا] محمد وهو الحق
10 من ربهم كفر عنهم سيئاتهم [سيئاتهم] وأ -
11 صلح بالهم (2) ذلك [ذالك] بأن الذين

قد يستغرب القارئ من وضع بعض الكلمـات الـواردة في الصـفحات الثلاث بين معقـــوفين ، وهي مرســـومة كما نرســـمها الآن ، وذلك مثـــل : بســـم ، والرحمن ، وهذا ، وعلى ، والنجوى ، وظلموا ، وذلك ، وما أشبهها ، وإنما كـان ذلك لأن هذه الكلمات لا يتطابق رسمها مع نطقها ، ولأن فيها دلالة على مـدى ارتباط إملائنا الذي نكتب به برسم المصحف ، وهذه الكلمات خير شـاهد على ذلك الارتباط ، وسوف نشير إلى هـذه القضـية في آخر البحث إن شـاء اللـه ، وبعد أن نستوفي الكلام على النقوش العربية القديمة .

---

1 (?) ينظر كتاب : رسم المصحف ، ص161 .

المبحث الثاني

النقوش العربية القديمة : تاريخها وقراءتها

كتب عـدد من الدارسـين المحـدثين بحوثاً درسـوا فيها أصل الخط العـربي وتتبعـوا تـاريخ تطـوره في مراحله الأولى ، وانتهـوا إلى أن الـراجح في أصل الخط العربي أنه منحدر عن الخط النبطي المتأخر[1] . وأن بروز الخط العربي وتمـــيزه عن الخط النبطي قد تم في القـــرون الأولى بعد الميلاد . ولا أجد ضرورة للدخول في تفاصيل هـذا الموضـوع[2] ؛ لأن هـدفنا هو دراسة النقـوش العربية القديمــة ، والوقــوف على طريقة رسم الكلمــات فيهــا ، ثم مقارنتها برسم المصحف .

وسوف أعرض تلك النقوش في مجموعتين : الأولى تضم ثلاثة من النقـوش العربية الجاهلية ، والثانية تضم ثلاثة من نقوش العصر الإسلامي الأول .

المطلب الأول : النقوش العربية الجاهلية :

اكتشف الباحثون عددا من النقوش العربية التي ترجع إلى ما قبل الإسـلام ، في شمال الجزيرة العربية وأطراف بلاد الشام ، وقد اخترت منها ثلاثة نقوش ، وأهملت ثلاثة أخــرى لأن تواريخها غــير أكيــدة ، ولأن مادتها محــدودة غــير واضــحة ، والنقــوش الــتي ســأذكرها هــذه هي : نقش النمــارة ، ونقش جبل أسيس ، ونقش حران[3] .

1- نقش النمارة :

عثر المستشرقان دوسو Dussaud وماكلر Macler سنة 1901م على نقش له أهمية كتابية ولغوية كبــيرة ، على بعد كيلومــتر من النمــارة القائمة على أنقاض قصر رومـاني شـرقي جبل الـدروز ، وهـذا النقش هو شـاهد قـبر ملك عربي اسمه امرؤ القيس بن عمرو ، المتوفى سنة 328م[4] ، وقد عـرف هـذا

---

1 (?) يعتقد بعض الباحثين أن الأنباط قبائل عربية كانت تتجول في شمال الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام ، وقد أسسوا دولة لهم منذ القرن الثاني قبل الميلاد ، واتخذوا سلع (البتراء) عاصمة لملكهم ، واستمرت دولتهم حتى سنة 106 بعد الميلاد ، حين استولى الحاكم الروماني في سوريا على عاصمتهم . وكان الأنباط قد استخدموا الخط الآرامي ، واستطاعوا أن يطوروا منه كتابة خاصة بهم ، تطورت بعد ذلك إلى الكتابة العربية . (ينظر كتاب : رسم المصحف ، ص 36-38 ، طبعة دار عمار) .

2 (?) من البحوث القيمة التي عالجت هذا الموضوع بالعربية :

1- أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام ، للدكتور خليل يحيى نامي . مجلة كلية الآداب في الجامعة المصرية مج3 ، ج1 ، سنة 1935م ، وطبع في كتاب بمطبعة بول باربيه ، القاهرة 1935م .

2- منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين ، للأستاذ المرحوم ناصر النقشبندي ، مجلة سومر ، مج3 ، ج1 ، سنة 1947م .

3- أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي ، للأستاذة سهيلة ياسين الجبوري ، مطبعة الأديب البغدادية ، بغداد 1977م .

3 (?) النقوش التي أهملتها هي : نقش أم الجمال الأول ، ونقش زبد ، ونقش أم الجمال الثاني، انظر عنها : ناصر النقشبندي : منشأ الخط العربي وتطوره ، مجلة سومر ، مج3 ، ج1 ، ص130-132 ، وجواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام 7/272-280 .

4 (?) انظر : إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، ص189 ، وجواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام 1/189 ، 7/273 ، وبلاشير : تاريخ الأدب العربي 1/71 ، ورمزي بعلبكي : الكتابة

النقش بنقش النمارة نسبة إلى اسم الموضع الـذي عـثر على النقش بـالقرب منه (انظر النقش : صورة رقم 4) .

وقـام البـاحثون بدراسة هـذا النقش ومحاولة قـراءة كلماتـه ، ويغلب على صورة رسم الكلمـات فيه شـكل الكتابة العربيـة ، وفيه جمل تامة مكتوبة بلغة عربية خالصـة ، وفيه بعض ملامح التـأثر بالنبطية أو الآراميـة . وهـذه كلمـات النقش مرسومة بحروف كتابتنا العربية التي نستخدمها اليوم[1] :

1 تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج
2 وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب محجو عكدي وجأ
3 بزجي في حبج نجرن مدينت شمرو ملك ممدو ونزل بنيه
4 الشعوب ووكلهن فرسوا لروم فلم يبلغ ملك مبلغه
5 عكدي هلك سنت 223 يوم 7 بكسلول بلسعد ذو ولده

إن أكـثر كلمـات هـذا النص تبـدو عربيـة ، لا سـيما إذا لاحظنا أن من تقاليد الكتابة آنذاك عدم إثبات الألف في وسط الكلمـات، مثـل (التج = التـاج) و (نجرن = نجران) ، وكذلك زيادة واو في آخر أسماء الأعلام ، مثـل (عمـرو = عَمْر) و (ونزرو = نزار) و (شمرو = شمر) وغيرها . مع احتمال أن تكــون قراءة بعض الكلمات ونقلها من الصخر إلى الورق غير دقيقـة . أما تـاريخ هـذا النقش فهو 223 من تاريخ بصرى ، الموافق لسنة 328 من التاريخ الميلادي .

إن هذا النقش له أهمية تاريخية ولغوية تتمثل بقدمـه ، إذ هو سـابق لظهـور الإسلام بنحو ثلاثة قرون ، وبالكلمات والعبارات العربية الخالصة التي تضمنها ، وهي تـدل على تمـيز الكتابة العربية عن الكتابة النبطية في أول القـرن الرابع الميلادي ، علماً بأن النقش عثر عليه في مكان لا يخلو من مؤثرات لغوية غـير عربية ، لأن النمارة تقع في بلاد الشام التي كانت تغلب عليها الآرامية[2] .

نقش جبل أسيس :

عــثرت على هــذا النقش بعثة ألمانية للتحــري عن الآثــار في ســوريا في حزيران سـنة 1965م ، في منطقة تبعد 105 كيلومـتر جنـوب شـرقي دمشق عند جبل أسيس[3] . ويعد هذا النقش آخر نقش عـربي جـاهلي اكتشـافاً ، وإن لم يكن أقـدمها تاريخاً ، ولا يـزال هـذا النقش غـير معـروف لـدى كثـير من الباحثين في تاريخ الكتابة العربية[4] . وهذه قراءة كلمات هـذا النقش بحـروف

العربية والسامية ، ص124 .

1 (?) انظر في قراءة النقش المصادر السابقة .
2 (?) قام د. رمزي بعلبكي بأوسع دراسة تحليلية لغوية وتاريخية لهذا النقش في كتابه : الكتابة العربية والسامية ، ص124-143 .
3 (?) انظر : سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره ، ص52-53 .
4 (?) لم أطلع على هذا النص في المصادر العربية إلا في كتاب " أصل الخط العربي وتطوره " للأستاذة سهيلة الجبوري الذي طبع سنة 1977 . ولم يذكره الدكتور رمزي بعلبكي في كتابه " الكتابة العربية والسامية " الذي طبع سنة 1981 .

كتابتنا العربية التي نستخدمها اليوم (ينظر النقش رقم 5)[1] :

1 إبرهيم بن مغيرة الأوسي
2 أرسلني الحرث الملك على
3 سليمن مسلحة سنت
4 423

وقد أشـارت الأسـتاذة سـهيلة الجبـوري أن تـاريخ النقش حسب تقـويم بصـرى ، وهو يقابل سـنة 528 للميلاد . وذكـرت أن الحـارث المـذكور في النقش هو الحارث بن جبلة الذي انتصر على المنذر الثـالث اللخمي في عـام 528م[2] . ويبدو أن إبـراهيم بن مغـيرة الأوسي هو أحد أتبـاع الملك الحـارث المحـاربين ، فقد جـاء في لسـان العـرب عن كلمة (المسـلحة) ما نصـه : " المسلحة : القوم الـذين يحفظـون الثغـور من العـدو ، وسـموا مسـلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح ، أو لأنهم يسكنون المسلحة ، وهي كالثغر والمرقب يكون فيه أقوام يراقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة ، فإذا رأوه أعلموا أصـحابهم ليتأهبوا له "[3] .

وعلى الـرغم من قله كلمـات هـذا النقش فإنها جـاءت عربية خالصة وذات معنى واضح محدد ، كما أنها كتبت بحـروف عربية واضـحة . ولعل أهم مـيزات هذا النقش الكتابية هي :

1- خُلوّه من نقاط الإعجام وعلامات الحركات .

2- حـذف الألف الـواردة في وسط الكلمة مثل (إبـراهيم ، والحـارث ، وسليمان)

3- كتابة تاء التـأنيث هـاء في (مغـيرة ، ومسـلحة) ، وتـاء طويلة في كلمة (سنت) .

3- نقش حران :

عـثر بعض المستشـرقين سـنة 1864م في حـران اللجـا ، في المنطقة الشـمالية من جبل الـدروز ، على كتابة مدونة باليونانية والعربية على حجر وضع فـوق بـاب كنيسـة ، يعـود تاريخه إلى سـنة 568 للميلاد . وعـرف هـذا النقش باسم نقش حران ، وهذه كلمات النص العربي (ينظر النقش : صـورة رقم 6) :

1 أنا شرحيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول
2 سنت 462 بعد مفسد
3 خيبر

---

1 (?) انظر : سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره ، ص 52 .
2 (?) المصدر نفسه ، ص53 ، هامش 19 و20 .
3 (?) ابن منظور : لسان العرب 3/317 مادة (سلح) .

4 بعم

والقـراءة الكاملة للنص هي : (أنا شـراحيل بن ظـالم ، بـنيت ذا المرطـول (الكنيسـة) سـنة 462 (من تقـويم بصـرى = 567م) ، بعد مفسد خيـبر بعام) . ومفسد خيبر قد يشـير إلى غـزوة قـام بها الحـارث بن أبي شـمر أحد أمراء بني غسان لخيبر ، على ما يرجح بعض الباحثين[1] .

ونقش حـران يتمـيز بالخصـائص الكتابية الـتي لاحظناها من قبل في نقش جبل أسيس ، من حيث خلوه من نقاط الإعجام وعلامـات الحركـات ، مثل كل النقـــوش العربية الجاهليـــة ، ومن حيث حـــذف الألف الـــواردة في وسط الكلمـــات ؛ مثل (شـــرحيل = شـــراحيل) و (ظلمو = ظـــالم) و (بعم = بعام) ، والواو المزيدة في آخر (ظلمـو) هي مثل الـواو المزيـدة في الأعلام الـــواردة في نقش النمـــارة . وكـــذلك كتبت (ســـنة) في هـــذا النص بالتـــاء الطويلة .

والكتابة العربية التي نجـدها في النقـوش العربية الجاهليـة ، لا سـيما نقشي أسيس وحران ، تقـدم نموذجاً متكـاملاً للإملاء العـربي في صـورته الأولى قبل رسم المصحف ، وما لحق الكتابة العربية بعد ذلك من تطـور لم يغـير من تلك الصـورة شـيئاً جوهرياً . وينبغي أن نشـير هنا إلى أن خصـائص الكتابة العربية ترتبط بخصائص الكتابة النبطية ، حتى لقد قال خليل يحيى نامي في آخر بحثه عن أصل الخط العربي : " ... يتبين لنا أن الكتابة العربية هي عبارة عن تطـور الكتابة النبطية وأنها تحمل نفس مميزاتها وسماتها "[2] .

المطلب الثاني : نقوش العصر الإسلامي :

إن النصوص المكتوبة التي ترجع إلى القـرن الهجـري الأول كثـيرة ، لكن ما يرجع منها إلى النصف الأول منه قليلـــة ، ويكـــاد تنـــاقص تلك النصـــوص كلما تقـدمنا إلى السـنين الأولى من تـاريخ الإسـلام يكـون أمـراً مطـرداً . وتتنـوع النصوص المكتوبة التي ترجع إلى العقود الأولى من ذلك القـــرن ، فمنها ما هو منقـــــوش على الحجـــــر ، ومنها ما هو مرقـــــوم على الأديم أو القرطـــــاس (البردي) ، ومنها ما هو مضروب على الدراهم[3] .

ولكثـــير من تلك النصـــوص مشـــكلات تواجه البـــاحث فيهـــا ، ولعل أقل تلك النصوص مشـكلات النصـوص المنقوشة على الحجـر ، لا سـيما المؤرخة منهـا ،

---

1 (?) ينظر : ناصر النقشبندي : منشأ الخط العربي وتطوره ، مجلة سومر ، مج2 ، ج1 ، ص 123 ، وجواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، 1/190 و7/279 ، وبلاشير : تاريخ الأدب العربي 1/72 ، ورمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ، ص151-155 .

2 (?) أصل الخط العربي ، ص101 .

3 (?) ينظر عن تلك النصوص : حسن محمد الهواري : أقدم أثر إسلامي ، مجلة الهلال المصرية ، السنة 38 (1930م) ، ج10 ، ص1181-1183 ، وناصر النقشبندي : منشأ الخط العربي وتطوره ، مجلة سومر (1947م) ، مج3 ، ج1 ، ص135-140 ، وزاكية محمد رشدي : النقوش السامية (القسم الثاني) ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة (1967م) ، مج29 ، ج 1-2 ، ص40-56 .

وقد وجـــدت أن ثلاثة منها أنفع من غيرها للبحث الـــذي نحن بصـــدده ، وهو الموازنة بين رسم المصــحف والنقــوش العربية القديمــة ؛ لقــدم تأريخهــا ، ولوضوح قراءتها ، ولغزارة مادتها أيضاً ، وهي من بلدان متعددة ؛ فالنقش الأول من مصر ، والثاني من بلاد الحجاز في السـعودية ، والثـالث من العـراق . وهـذا عرض لنصوصها وتاريخ الكشف عنها :

1- نقش القاهرة :

اكتشف هـذا النقش الأسـتاذ حسن محمد الهـواري ، من بين عـدد كبـير من قطع الحجر أو الرخـام المكتوبة بالخط الكـوفي ، الـتي كـانت تحتفظ بها دار الآثار العربية بالقاهرة ، وهي مجلوبة من أقدم المقابر الإسـلامية في القـاهرة وأسوان . وذلك في سنة 1929م[1] . وكتب مقالة بعنوان (أقدم أثر إسلامي) في مجلة الهلال المصرية[2] . وهو اليـوم محفـوظ بمتحف الفن الإسـلامي في القاهرة برقم (29/1058)ـ ، وحجم قطعة الحجر المكتـوب عليها هو 38 سم × 71 سم[3] .

وتسمي بعض المصادر هذا النقش بـ (نقش أسوان) على أسـاس أنه عـثر عليه في مقابر أسوان في جنوبي مصر[4] . لكن الذي نص عليه حسن الهواري في مقالته على هذا النقش أنه لرجل دفن بالقرافة بظاهر الفسطاط[5] . ومن ثم وصف بأنه (نقش القاهرة) .

وهـذا النقش له شـأن عظيم في الدراسـات المتعلقة بتـاريخ تطـور الكتابة العربيـة ، وذلك لأنه يكـاد يكـون أقـدم نص إسـلامي مـدون على الحجـر ، فهو مؤرخ بسـنة (31هــ) وهو بـذلك يرجع إلى الحقبة الـتي كتبت فيها المصـاحف في المدينة في خلافة عثمان بن عفان ، رضي الله عنه .

وقد اتفق الباحثون على قراءة كلمـات هـذا النقش ما عـدا كلمـتين أو ثلاثاً ، وهـذا نص كلماته (ينظر النقش : صـورة رقم 7) مع الإشـارة إلى الكلمـات المختلف في قراءتها بوضعها بين قوسين :

1 بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر
2 لعبد الرحمن بن (خير) (الحجري) اللهم اغفر له
3 وأدخله في رحمة منك (وإننا) معه
4 استغفر له إذا قرأ هذا الكتب

---

1 (?) ينظر : إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، ص202 .
2 (?) ينظر : الجزء العاشر من السنة 38 (1930م) ، ص1179-1191 ، وكذلك نشر حسن الهواري مقالته في مجلة الجمعية الآسيوية الملكية في عدد نيسان (1930م) ، ينظر : إبراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ، ص128 .
3 (?) ينظر : إبراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ، ص130 ، وسهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره ، ص108 .
4 (?) ينظر : المصدران السابقان ، ص 120 ، وص108 .
5 (?) ينظر : مجلة الهلال ، ج10 (السنة 38) ، ص 1191 .

5 وقل آمين وكتب هذا ا
6 لكتب في جمدى الآ
7 خر من سنت إحدى و
8 ثلاثين

اختلف البـاحثون في قـراءة كلمة (خـير) في السـطر الثـاني ؛ فقد قـرأه بعضهم (جبر) ، وكـذلك اختلفـوا في (الحجـري) في السـطر ذاتـه ؛ فقـرأه بعضـــهم (الحجـــازي)[1] . وقد رجح حسن الهـــواري قراءتـــه : (خـــير) و (الحَجْـري) بفتح الحـاء وسـكون الجيم[2] . وكـذلك اختلفـوا في قـراءة كلمة (وإننا) في السـطر الثـالث ؛ فقد قـرأه بعضـهم (وآتنـا)[3] ، وقـرأه بعضـهم (وإيانا)[4] . والسبب في اختلافهم في قراءة هـذه الكلمـات هو أن النص غـير منقط في الأصل .

واقترح خليل يحيى نامي قـراءة كلمة (قـرأ) في السـطر الرابع (قـرأتَ) بإضافة تاء الفاعل ، فكأنه يرى أن الكاتب نسي كتابة التـاء[5] . لكن هـذا ليس أكيداً فيما نـرى ، فقد تكـون الصـيغة مبنية للمجهـول (قُـرِئَ) ، مثل (كُتِبَ) في السطر الخامس ، لكن تثار حينئذ مشـكلة كتابة الهمـزة ، وسـوف أنـاقش ذلك في موضع لاحق من البحث ، إن شاء الله .

2- نقش الطائف :

عُثِـرَ على هــذا النقش في أثنــاء التنقيب على المعــادن في منطقة قــرب الطائف في الحجاز ، وذلك في سنة 1945م ، وقام بنشره وقراءته (مــايلز) سنة 1948م ، وتناوله بالدرس عـدد آخر من البـاحثين . وهو على صـخرة من بقايا سد قــديم أمر ببنائه الخليفة الأمــوي معاوية بن أبي ســفيان - رضي الله عنه - قرب الطائف ، ومؤرخ بسنة 58 هــ . وهـذا نص كلماته (ينظر النقش : صورة رقم 8)[6] :

1 هذا السد لعبد الله معوية
2 أمير المؤمنين بنيه عبد الله بن صخر
3 بإذن الله لسنة ثمن وخمسين ا
4 للهم اغفر لعبد الله معوية أ
5 مير المؤمنين وثبته وانصره ومتع ا
6 لمؤمنين به كتب عمرو بن حباب

---

1 (?) ينظر : إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، ص202 ، وخليل يحيى نامي : أصل الخط العربي ، ص91 .
2 (?) أقدم أثر إسلامي ، ص1190-1191 .
3 (?) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، ص202 .
4 (?) صلاح الدين المنجد : دراسات في تاريخ الخط العربي ، ص41 .
5 (?) أصل الخط العربي ، ص91 .
6 (?) ينظر عن هذا النقش والمصادر التي تحدثت عنه : كتاب رسم المصحف ، ص461-462 ، طبعة دار عمار ، الأردن .

وكان (مايلز) حين نشر هذا النقش لأول مـرة يظن أن كلمة قد امَّحت في أول السـطر السـادس ، وقَـدَّرَ أنها كلمة (أمـير) فتكـون القـراءة في رأيه : (ومتع أمير المؤمنين به) ، ولا داعي لهذا التقدير ولا لغـيره ، فـالنص كامل لا يحتاج إلى تقدير شيء ؛ لأن الضمير في (به) في السطر السادس يرجع إلى أمير المؤمـنين وليس إلى السـد ، وإنما أراد الكـاتب : (ومتع المؤمـنين بـأمير المؤمنين) ؛ أي بطول بقائه[1] .

ويتميز هذا النقش عن جميع النقوش السابقة في أن عـددا من حروفه تبـدو منقطة ، وهي (الباء والتاء والثاء والنون والفـاء والخـاء) ، وسـوف أعـود إلى مناقشة هذه القضية في موضع لاحق .

3- نقش حفنة الأُبَيِّض :

عثر على هذا النقش السيد عز الدين الصندوق سنة 1949م عندما كان في بعثة دائرة الآثار العراقية إلى الصحراء الغربية ، وهذا النقش يشبه تذكاراً كتبه ثابت بن يزيد الأشـعري في شـوال من سـنة 64 هــ ، على صـخرة تجثم على حافة وادي الأبيِّض ، في منطقة تسـمى حفنة الأبيِّض غـربي كـربلاء[2] . وهـذا نص كلمات النقش (ينظر النقش : صورة رقم 9)[3] :

1 بسم الله الرحمن الرحيم
2 الله وكبر كبيرا وا
3 لحمد لله كثيرا وسبحن ا
4 لله بكرة وأصيلا وليلا
5 طويلا اللهم رب
6 جبريل وميكل وإسر
7 فيل اغفر لثبت بن يزيد
8 الأشعري ما تقدم من
9 ذنبه وما تأخر ولمن قال
10 آمين آمين رب العلمين
11 وكتبت هذا الكتب في
12 شوال من سنة أربع و
13 ستين

وهـذا النقش يحمل خصـائص النقـوش السـابقة ، مع وجـود بعض الظـواهر الإملائية الـتي انفـرد بهـا ، مما سـنقف عنـده في المبحث الآتي ، وأكتفي هنا بالإشارة إلى وجود ثلاثة حروف معجمة في هذا النقش وهي البـاء واليـاء والثـاء في السطرين الثاني والثالث .

---

1 (?) ينظر : المصدر السابق ، ص462 .
2 (?) ينظر : عز الدين الصندوق : حجر حفنة الأبيض ، مجلة سومر 1955م ، مج11 ، ج2 ، ص 213-217 ، ينظر كتاب رسم المصحف ، ص463 .
3 (?) ينظر : صلاح الدين المنجد : دراسات في تاريخ الخط العربي ، ص104-105 .

المبحث الثالث

الظواهر الإملائية المشتركة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة

ليس من هدفنا تتبع تطور أشكال الحروف في النقوش العربية الجاهلية والنقوش العربية الإسلامية ، وليس من هدفنا الحديث عن أنواع الخطوط من ليِّنٍ ويابس ، أو كوفي ونسخي ، إنما هدفنا هنا تتبع الظواهر الإملائية التي فيها مخالفة المكتوب للمنطوق مما تميزت به تلك النقوش وشاركها في ذلك رسم المصحف . ومن تلك المظاهر المشتركة :

أولاً : خلو الكتابة من الشكل والنقط :

تميزت النقوش العربية القديمة (الجاهلية والإسلامية) بخلوها من علامات الحركات الثلاث : الفتحة والضمة والكسرة . ومن غيرها من العلامات الأخرى ، وكذلك كانت المصاحف الأولى مجردة من ذلك كله . وكانت الكتابة العربية قد ورثت هذه الخاصية عن أصلها البعيد بواسطة الكتابة النبطية[1] . وقد قال أبو عمرو الداني : " إن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط "[2] .

أما علامات الحركات المستخدمة في المصاحف الآن ، وفي الكتابة العربية في غير المصاحف فإنها ترجع إلى حقبة تالية لوقت نسخ المصاحف ، وذلك لأن الكتابة المجردة من علامات الحركات لا تعين على القراءة الصحيحة ، ومن ثم فكر العلماء في وقت مبكر من تاريخ الإسلام بسد هذا النقص في الكتابة ، وكانت أول محاولة في هذا السبيل هي محاولة أبي الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو ت 69 هـ) ، في البصرة ، فإنه ابتكر طريقة النقط المدورة الحمراء لتمثيل الحركات ؛ فجعل الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة نقطة تحت الحرف ، والضمة بين يدي الحرف (أي أمامه) ، وكان استخدام هذه الطريقة في المصاحف خاصة[3] .

وقد غبر الناس زمانا وهم يستخدمون طريقة أبي الأسود الدؤلي في تمثيل الحركات ، لكن هذه الطريقة لا تخلو من صعوبة تتمثل بتعدد ألوان المداد ، وبالتباسها بنقط الإعجام المميزة للحروف المتشابهة في الرسم ، وقد جاء عالم العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت 170 هـ) فجعل نقط أبي الأسود حروفاً صغيرة من لون الكتابة ذاتها ، فجعل الفتحةَ أَلِفاً صغرى مائلة فوق الحرف ، والكسرةَ ياءً صغرى مردودة تحت الحرف ، والضمةَ واواً صغرى فوق الحرف[4] . وهناك تفصيلات كثيرة من تاريخ استخدام الحركات

---

1 (?) ينظر : سهيلة الجبوري : أصل الخط العربي وتطوره ، ص147 ، ورزمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ، ص321 .

2 (?) المحكم ، ص176 .

3 (?) ينظر : الداني : المحكم ، ص6-7 ، وابن النديم : الفهرست ، ص45 .

4 (?) المحكم ، ص7 .

في الكتابة العربية نستطيل ذكرها هنا ، مع عدم مسيس الحاجة إليها[1] .

ومما يتعلق بهذا الموضوع نقاط الإعجام التي تميز بين الحـروف المتشـابهة في الرسم ، فالنقوش العربية الـتي ترجع إلى ما قبل الإسـلام تخلو من نقـاط الإعجـــــــــام ، وقد ورثت الكتابة العربية ذلك عن الكتابة النبطية[2] . وكُتبت المصـاحف مجـردة من ذلك أيضاً . وتـذكر رواية المصـادر العربية أن نصر بن عاصم الليـثي (ت90 هـ) البصـري هو الـذي نقط الحـروف التنقيط الـذي لا يزال مستخدماً في الكتابة العربية . لكن النقوش العربية الإسلامية الـتي ترجع إلى فترة أقدم من زمان نصر بن عاصم ، ظهرت فيها بعض الحروف المعجمة لا سيما نقش سد الطائف المؤرخ سنة 58 هـ . وهنـاك شك في أصـالة النقط الــتي تظهر في كتابة نقش سد الطــائف ، والأمر يحتــاج إلى تفصــيل يمكن مراجعته في مصادره[3] .

ثانياً : حذف الألف في وسط الكلمة :

من الظواهر الكتابية الشائعة في رسم المصـحف حـذف الألف الـواردة في وسط الكلمة في كثـــير من الأحيـــان ، وقد رأينا من أمثلة ذلك في ســـورة الفاتحة وحــدها الكلمــات الآتيــة : (الــرحمن = الرحمــان) و (العلمين = العالمين) و (ملك = مالك) و (الصرط = الصـراط) ، والأمثلة كثـيرة على نحو ما ذكرنا من قبل .

وإذا رجعنا إلى النقوش العربية القديمة وجدنا أن هذه الظاهرة لم تكن خاصة برسم المصحف ، وإنما كانت إحـدى خصـائص الكتابة العربية في ذلك الـوقت ، فحـــذف الألف ظـــاهرة كتابية شـــائعة في النقـــوش العربية الجاهليـــة ، مثل (التج = التــاج) و (نجــران = نجــران) في نقش النمــارة ، و (إبــرهيم = إبــراهيم) و (الحــرث = الحـارث) و (سـليمن = سـليمان) في نقش جبل أسيس ، و (شرحيل = شراحيل) و (ظلمو = ظـالم) و (بعم = بعـام) في نقش حران .

وقد اســتمرت هــذه الظــاهرة بعد رسم المصــحف ، كما تــدل على ذلك النقـوش العربية الإسـلامية الـتي ذكرناهـا ، وذلك مثـل : (هـذا = هـاذا) و (الكتب = الكتـاب) و (جمـدى = جمـادى) و (ثلـثين = ثلاثين) في نقش القــاهرة ، و (معوية = معاويــة) و (ثمن = ثمــان) في نقش الطــائف ، و (سبحن = سبحان) و (لثبت = لثابت) و (العلمين = العالمين) و (الكتب = الكتاب) في نقش حفنة الأبيض .

ويرجع أصل هــذه الظــاهرة إلى الكتابة النبطية الــتي انحــدرت منها الكتابة

---

1 (?) من أراد التفصيل فعليه بالفصل الخامس من كتاب : رسم المصحف ، ص391 وما بعدها .

2 (?) خليل يحيى نامي : أصل الخط العربي ، ص87 و101 .

3 (?) ينظر كتاب : رسم المصحف ، ص452-468 .

العربية[1] . فرسم المصحف إذن لم يكن متفرداً بهذه الظاهرة ، فإنها موجــودة في الكتابة العربية قبل كتابة المصحف بها ، وظلت فاشية بعد ذلك في كتابـات القرن الأول الهجـري ، وأخـذت تختفي تـدريجياً من الكتابة العربية إلى اليـوم ، وذلك في الكلمـات : (الـرحمن = الرحمـان) و (هـذا = هـاذا) و (هـذه = هـاذه) و (هـؤلاء = هـاؤلاء) و (إله = إلاه) و (لكن = لاكن) و (أولئك = ألائك) و (ذلك = ذالك) .

ثالثاً : رسم تاء المؤنثة :

من الظـواهر الكتابية الـتي تمـيز بها رسم المصـحف أن تـاء المؤنثة جـاءت مرســومة تــاء أحياناً وهــاء أخــرى ، مثــل : (رحمت = رحمــة) و (نعمت = نعمة) و (كلمت = كلمة) . ولا نحتاج في هذا المقـام إلى الحـديث عن أصل علامة التأنيث في العربية ولا عن سبب كتابتها تـاء مـرة وهـاء أخـرى ، ويكفينا هنا أن نشير إلى أن أصل هذه الظـاهرة كـان موجـوداً في الكتابة العربية قبل رسم المصحف ، كما تدل على ذلك النقوش العربية القديمة . فنجد في نقش النمـارة (مـدينت = مدينـة) و (سـنت = سـنة) ، وفي نقش جبل أسـيس (سنت = سنة) ، وكذلك هي في نقش حران .

ويبدو أن التوجه إلى كتابة تاء التأنيث هاء كان قد بدأ قبل الإسـلام بعشـرات السـنين ، فنجد في نقش جبل أسـيس كلمة (مغـيرة ، ومسـلحة) مكتوبـتين بالهـاء ، وكتبت كلمة (سـنة) بالتـاء في النقش ذاتـه ، وهـذا يفسر لنا طريقة رسم المصحف في كتابة هذا النوع من الكلمات ، بالتاء أحيانا وبالهـاء أخـرى . وبدأت ظاهرة كتابة تاء التـأنيث بالتـاء المبسـوطة تختفي تـدريجياً حـتى زالت تماماً من الكتابة العربية .

رابعاً : تفريق حروف الكلمة الواحدة في السطر والذي يليه :

من الظــواهر الكتابية الــتي لاحظناها في الصــفحات الثلاث من المصــاحف القديمة تقطيع حروف الكلمة الـتي تقع في آخر سـطر بين آخر السـطر وأول السطر الـذي يليـه ، كما نجد في آخر السـطر الثـامن وأول التاسع من تقطيع كلمة (تبصر-ون) بين السطرين في الصفحة الأولى ، وكذلك الأسطر (11 - 12) و (12 -13) و (15 -ـ 16) ، وكــذلك نجد الظــاهرة نفســها في الصفحتين الأخـريين . وكـان بعض العلمـاء السـابقين قد نص على وجـود هـذه الظاهرة في المصاحف العثمانية القديمة[2] .

ولا نجد لهذه الظاهرة أثراً في النقوش العربية الجاهلية الثلاثة ، وقد لا يعني هذا عـدم وجودها في ما كتب قبل الإسـلام من نصـوص عربيـة ، لأن النقـوش الثلاثة قصـيرة قليلة الكلمـات . أما النقــوش العربية الإسـلامية فـإن في كل

---

1 (?) ينظر : خليل يحيى نامي : أصل الخط العربي ، ص88 و 101 ، ورمزي بعلبكي : الكتابة العربية والسامية ، ص178-179 .

2 (?) القلقشندي : صبح الأعشى 3/151 .

نقش منها أكثر من مثـال على هـذه الظـاهرة . فنجد في نقش القـاهرة كلمة (الكتب) مقسمة بين آخر السـطر السـادس وأول السـابع ، وكـذلك نجد في نقش الطـائف الألف قد انفـردت عن كلماتها في آخر السـطور الثلاثة الثـالث والرابع والخامس . وكذلك نجد هـذه الظـاهرة في نقش حفنة الأبيض في آخر الأسطر الثاني والثالث والسادس .

خامساً : رسم الهمز :

رسم الهمــزة من الموضــوعات المتشــعبة في الإملاء العــربي ، في رسم المصحف وفي غيره ، لكن الغالب في رسمها هو كتابتها على التسـهيل[1] . ولا نريد الدخول في تفصيلات هذا الموضوع ، وأكتفي بالإشارة إلى أن ما ورد في النقــوش العربية القديمة من أمثلة قليلة يؤيد ما نجد في رسم المصــحف من الكلمات المهموزة المكتوبة على خلاف القاعدة المطردة ، فما ورد في نقش حفنة الأبيض في السطر الثاني من رسم الهمـزة واوا في (الله وكـبر) يماثل زيــادة الــواو في أمثلة من الرسم في مثــل (أولئك) و (ســأوريكم) ونحو ذلك[2] .

وقد وردت في نقش القـاهرة كلمة (قـرأ) في السـطر الرابـع ، والسـياق يقتضي أن تقــرأ بالبنــاء للمجهــول (قــرئ) وأن ترسم همزتها باليــاء ، لكنها رسمت بالألف هكذا (قرأ) . فإذا كان الفعل مبنياً للمجهـول فقد يكـون رسم الهمـزة فيها على مـذهب من يكتب الهمـزة بـالألف دائماً ، وهو مـذهب قـديم معروف في الكتابة العربية[3] . ويؤيد كون (قرأ) مبنياً للمجهول مجيء الفعل (كتب) بعــدها مبنياً للمجهــول في الســطر الخــامس ، والنص كما ورد في النقش هو :

4 استغفر له إذا (قُرِأَ) هذا الكتب

5 وقل آمين و (كُتِبَ) هذا ا -

وكان خليل يحيى نامي قد رأى أن تضاف تاء الفاعل المخاطب إلى (قــرأ) لتصير (قَـرأتَ)[4] . فكأنه يـرى أن الكـاتب نسي كتابة التـاء ، ويقتضي مذهبه هذا أن تُضاف تاء المتكلم إلى (كتب) لتصير (وكتبتُ) . ولكني لا أستبعد أن يكون كاتب هذا النقش أراد الصيغة التي كتبها ، وهي صحيحة كاملــة ، وكل ما في الأمر أنه رسم الهمزة على نحو يخالف المشهور في طريقة كتابتهــا ، وقد يكون رسمها على مذهب من يكتبها بالألف دائما من العرب .

---

1 (?) الداني : المحكم ، ص151 .

2 (?) ينظر : كتاب رسم المصحف ، ص302 ، طبعة دار عمار ، الأردن .

3 (?) ينظر : الفراء : معاني القرآن 2/134 .

4 (?) أصل الخط العربي ، ص91 .

خاتمة

إن مجموع كلمات النقوش العربية القديمة قد لا يزيد على كلمات صفحة من المصحف ، ومن ثم فإن الظواهر الإملائية التي تُقدمها تلك النقوش تُعَدُّ شيئاً يسيراً بالنسبة للظواهر التي نجدها في رسم المصحف ، لكن تلك الظواهر الإملائية التي نجدها في النقوش العربية القديمة ، على قِلَّتها ، ذات دلالة كبيرة في الموضوع الذي دار عليه هذا البحث ، فهي تؤكد أن الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - قد كتبوا القرآن في المصحف بالكتابة العربية المستخدمة وقت نزول القرآن ، ويمكن لنا القول أن ما تميز به رسم المصحف من ظواهر إملائية لا يتطابق فيها المرسوم مع المنطوق كانت من مميزات الكتابة العربية قبل أن يُدون بها القرآن .

والرسم العثماني ، بما فيه من تنوع الأمثلة الكتابية وكثرتها يقدم نموذجاً حقيقياً لما كانت عليه الكتابة العربية في النصف الأول من القرن الهجري الأول ، حين كان الناس في تلك الأيام لا يلاحظون فرقاً بين رسم المصحف وكتابتهم في الأغراض الأخرى . واستمر الحال على ذلك إلى أن ظهر علماء العربية في البصرة والكوفة وأسسوا للكتابة ضوابط بنوها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية . وكلما تقدم الزمن ازدادت الحاجة إلى توحيد قواعد الإملاء ، ومن ثم فإن أكثر الظواهر الكتابية التي نجدها في الرسم العثماني مرسومة على قاعدتين قد مالت إلى التوحد في قاعدة واحدة ، وكان علماء العربية يقودون خطى الناس في هذا الاتجاه ، ويضعون القواعد التي تُيسِّره وتضبطه ، حتى ظهر علم الهجاء أو الإملاء علماً كاملاً متميزاً عن علم رسم المصحف .

وخلاصة ما يمكن قوله عن العلاقة بين رسم المصحف والإملاء الذي كَتَبَ به الناس منذ قرون كثيرة ، ولا يزالون يكتبون به إلى وقتنا ، هو أن الرسم العثماني كان يمثل مرحلة من مراحل الكتابة العربية ، حمل خصائص تلك المرحلة ، وهو يمثلها خير تمثيل ، وما إملاؤنا اليوم إلا امتداد للرسم في معظم خصائصه . ويكفي أن أذكر أن حذف الألف المتوسطة من بعض الكلمات ، وزيادة الألف بعد واو الجماعة في آخر الفعل . ورسم الألف ياء في آخر الكلمات اليائية الأصل وغير الثلاثية ، وزيادة الواو في أولئك وأخواتها كل ذلك منحدر إلى كتابتنا من رسم المصحف .

أختم هذا البحث بالتنبيه على أمر مهم هو عناية الصحابة - رضوان الله عليهم - بكتابة القرآن في المصحف ، وتدقيقهم في صور الكلمات حتى تكون دقيقة بقدر ما كانت تسمح قواعد الإملاء المستخدم في زمانهم ، وكان لهم في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة ، فإنه كان إذا أملى شيئاً من القرآن على كاتب الوحي زيد بن ثابت ، وفرغ من كتابته زيد ، قال له رسول

الله - صلى الله عليه وسلم - : اقرأه ، فيقرأه زيد ، فإن كان فيه سقط أقامه وأصلحه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

ونقل الطـبري في تفسـيره روايـتين تكشـفان عن جـانب من الجهد الكبـير الذي بذله الصحابة في نسخ المصاحف منقولتين عن أبي سعيد هانئ الـبربري الدمشقي مولى أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - :

جــاء في الرواية الأولى أن هانئاً قــال : كنت الرســولَ بين عثمــان وزيد بن ثابت ، فقـال زيـد : سـله عن قولـه : (لم يتسـن) أو (لم يتسـنه)[1] ، فقـال عثمان : اجعلوا فيها هاء .

وجــاء في الرواية الثانية أن هانئاً قــال : كنت عند عثمــان ، وهم يعرضــون المصــاحف ، فأرســلني بكتف شــاة إلى أُبيٍّ بن كعب ، فيها (لم يتســـن) و (فأمهل الكافرين) و (لا تبديل للخلق) ، قال : فدعا أبي بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب (لا تبـــديل لخلق اللـــه)[2] ، ومحا (فأمهـــل) وكتب (فمهل الكفرين)[3] ، وكتب (لم يتسنه) ألحق فيها الهاء[4] .

إن من الحقائق الكبرى التي قد تغيب عن نظر الكثـيرين أن تـدوين القـرآن بالكتابة العربية قد نقلها من كتابة محـــدودة فقـــيرة في موضـــوعها إلى كتابة تشرفت بحفظ أعظم كتاب ، وكانت بسبب ذلك الكتابة المعبرة عن الحضـارة الإسلامية ، كما استخدمتها شـعوب إسـلامية كثـيرة في تـدوين لغاتهـا ، فحقق ذلك للكتابة العربية فرصة كبـــيرة تـــولى فيها العلمـــاء صـــيانتها وضـــبطها وتيسيرها ، منذ كتابة القرآن بها إلى وقتنا الحاضر .

* * *

---

1 (?) البقرة : 259 .
2 (?) الروم : 30 .
3 (?) الطارق : 17 .
4 (?) جامع البيان 3/37-38 .

نماذج مصورة

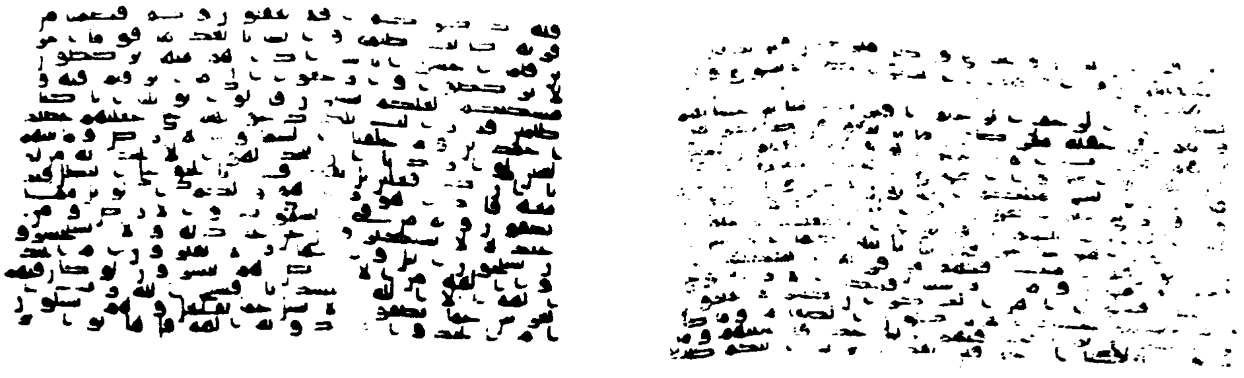

صورة رقم (١)

صفحتان من مصحف قديم مكتوب على الرق

في مكتبة الإمام علي رضي الله عنه في النجف

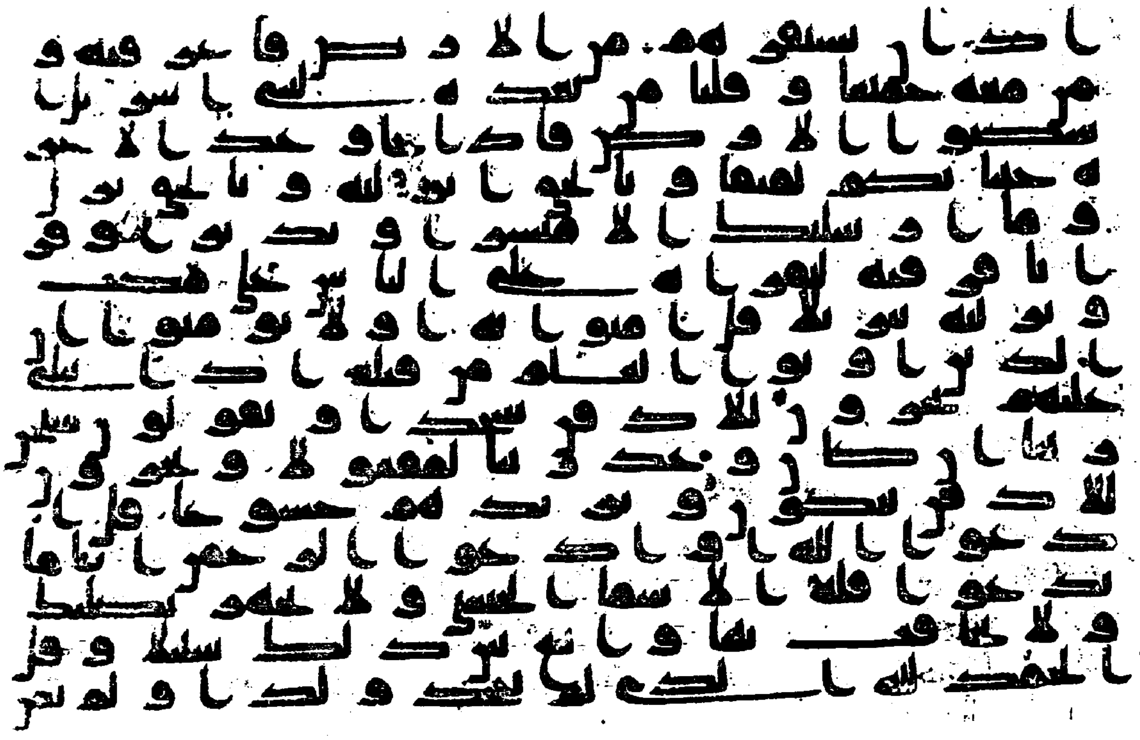

صورة رقم (٢)

صفحة من بقايا مصحف قديم مكتوب على الرق

في مكتبة المتحف العراقي في بغداد

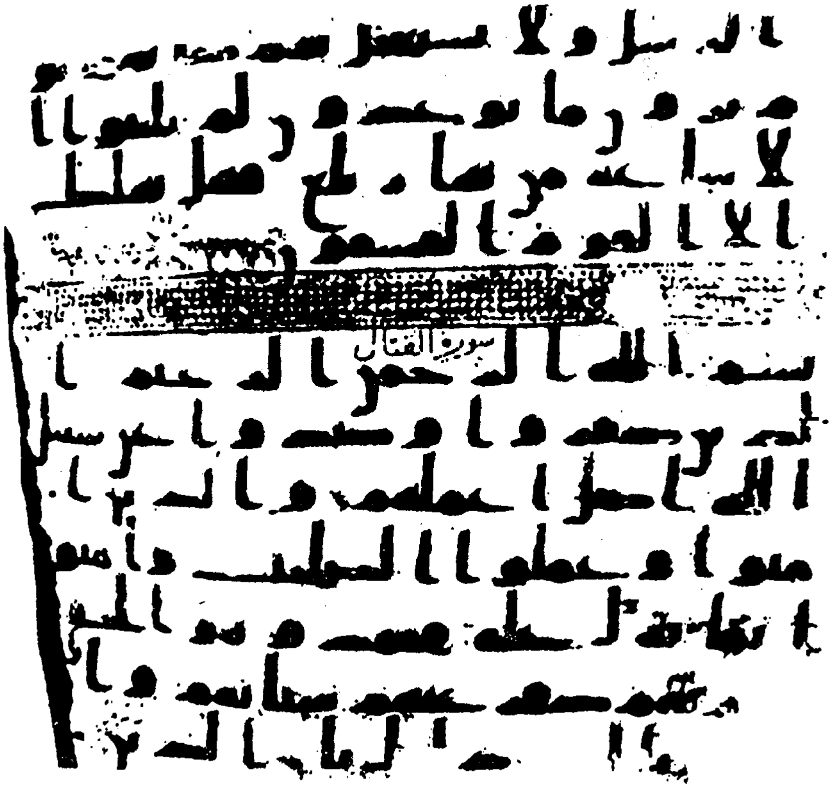

صور رقم (٣)

صورة من مصحف جامع عمرو بن العاص

المحفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة

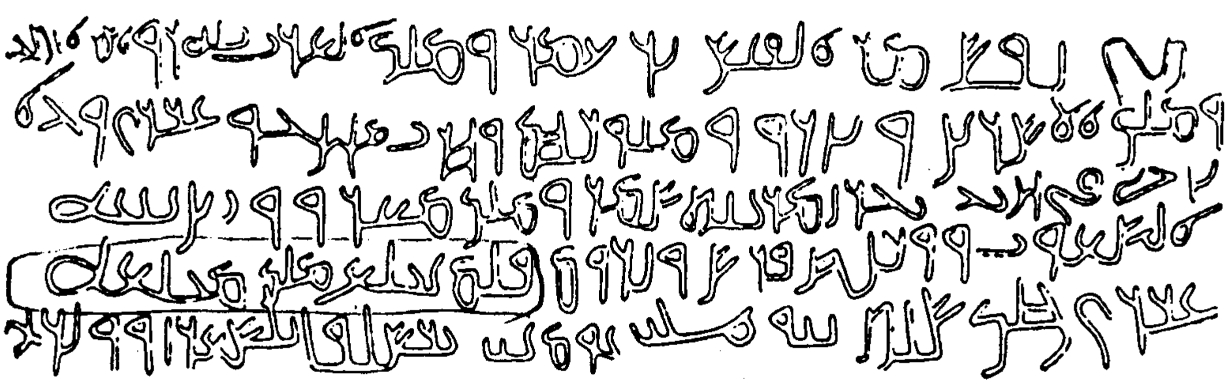

صورة رقم (٤)

نقش النمارة (٣٢٨م)

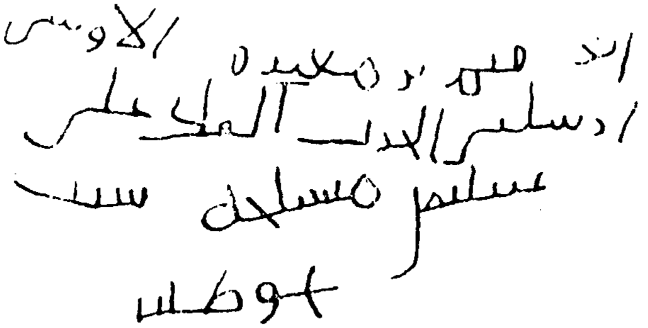

صورة رقم (٥)

نقش جبل اسيس (٥٢٨م)

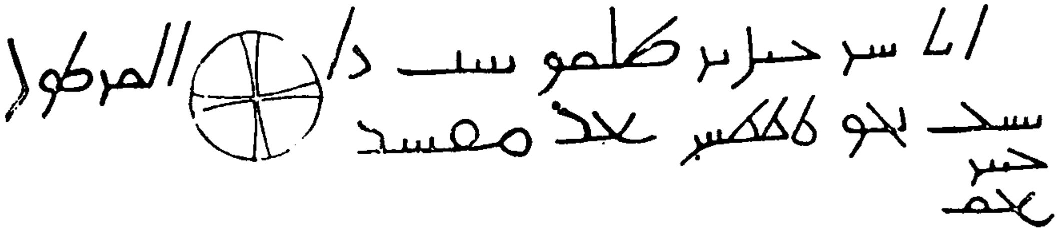

صورة رقم (٦)

نقش حران (٥٦٨م)

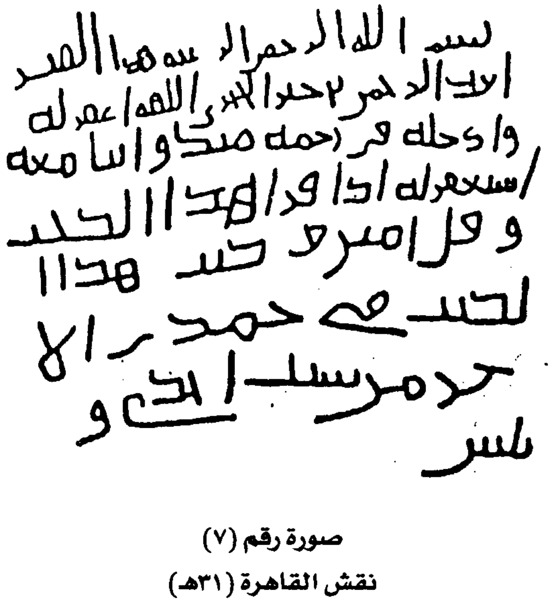

صورة رقم (٧)

نقش القاهرة (٣١هـ)

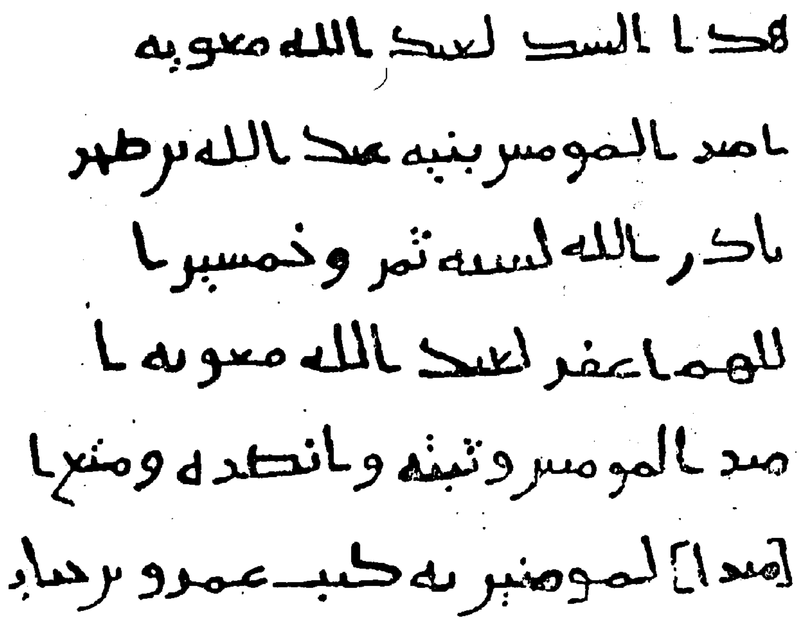

صورة (٨)

نقش سد الطائف (٥٨هـ)

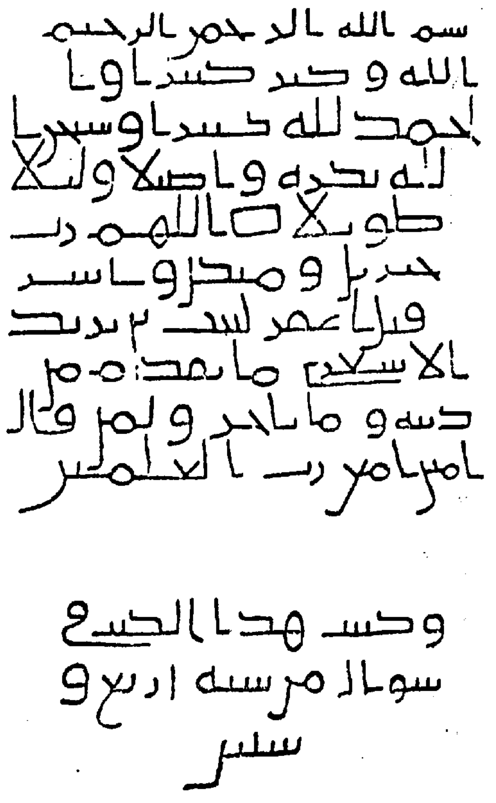

صورة (٩)

نقش حفنة الابيض (٦٤هـ)

المصادر

- إبراهيم جمعة (دكتور) : دراسة في تطور الكتابـات الكوفية ، دار الفكر العـربي ، القاهرة 1969م .
- ابن الأثير (علي بن محمد) : الكامل في التاريخ ، الطبعة المنيرية ، القاهرة .
- أحمد بن حنبل : المسند ، المطبعة الميمنية ، القاهرة .
- إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، دار القلم ، بيروت 1980م .
- البخاري (محمد بن إسماعيل) : الجامع الصحيح ، طبع محمد علي صبيح ، القاهرة .
- البسوي (يعقوب بن سفيان) : المعرفة والتاريخ ، تحقيق د. أكـرم ضـياء العمـري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد 1394هـ=1974م .
- بلاشير : تاريخ الأدب العربي ، ج1 ، تعريب إبراهيم الكيلاني ، دمشق 1956م .
- جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد 1950م .
- ابن حجر (أحمد بن علي) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المطبعة السلفية ، القاهرة 1380هـ .
- حسن محمد الهـواري : أقـدم أثر إسـلامي ، مجلة الهلال المصـرية ، السـنة 38-ج 10 ، القاهرة 1930م .
- ابن خلدون (عبد الرحمن) : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت 1956م .
- خليفة بن خياط : تاريخ خليفة ، دمشق 1967م .
- خليل يحيى نامي (دكتور) : أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسـلام ، مطبعة بول باربيه ، القاهرة 1935م .
- الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد) :
  أ- المحكم في نقط المصاحف ، تحقيق د. عزة حسن ، دمشق 1960م .
  ب- المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مطبعة الترقي ، دمشق 1359هـ=1940م .
- ابن درسـتويه (عبد الله بن جعفر) : كتـاب الكُتَّاب ، تحقيق إبـراهيم السـامرائي ، ود. عبد الحسين الفتلي ، الكويت 1397هـ=1977م ، وطبع دار عمار ، الأردن .
- ابن أبي داود (عبد الله بن سليمان) : كتـاب المصـاحف ، تحقيق آرثر جفـري ، ط 1 ، المطبعة الرحمانية بمصر 1355هـ=1936م .
- رمـزي بعلبكي (دكتـور) : الكتابة العربية والسـامية ، ط1 ، دار العلم للملايين ، بيروت 1981م .
- زاكية محمد رشــدي (دكتــورة) : النقــوش الســامية (القسم الثــاني) مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، 1967م ، مج29 ، ج1-2 .
- الزركشي (بـدر الـدين محمد بن عبد الله) : البرهـان في علـوم القـرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة 1972م .
- السمعاني (عبد الكريم بن محمد) : أدب الإملاء والاستملاء ، ليدن 1970م .
- سهيلة ياسين الجبـوري : أصل الخط العـربي وتطـوره حـتى نهاية العصر الأمـوي ، مطبعة الأديب البغدادية 1977م .
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) :
  أ- الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1967م .
  ب- همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، صـححه محمد بـدر الـدين النعسـاني ، طبعة

الخانجي بمصر 1327هـ .

- أبو شامة (عبد الرحمن بن إسماعيل) : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز ، تحقيق طيار آلتي قولاج ، دار صادر ، بيروت 1975م .
- صلاح الدين المنجد (دكتور) : دراسات في تاريخ الخط العربي ، ط1 ، دار الكتاب الجديد ، بيروت 1972م .
- الصولي (محمد بن يحيى) : أدب الكاتب ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، القاهرة 1941م .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ط3 ، مصطفى البابي الحلبي بمصر 1388هـ=1968م .
- ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، القاهرة 1960م .
- عزالدين الصندوق : حجر حفنة الأبيض ، مجلة سومر ، مج11 ، ج2 ، بغداد 1955م .
- غانم قدوري الحمد : رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية ، بغداد 1402هـ= 1982م ، وطبع دار عمار، الأردن 2002م .
- الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد) : معاني القرآن ، تحقيق محمد علي النجار وآخرين ، القاهرة .
- القلقشندي (أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة 1913م ، ودمشق 1978م .
- محمد حسين هيكل (دكتور) : الصديق أبو بكر ، ط5 ، القاهرة 1964م .
- ابن منظور (محمد بن مكرم) : لسان العرب ، طبعة بولاق ، القاهرة .
- المهدوي (أحمد بن عمار) : كتاب هجاء مصاحف الأمصار ، تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج19 ، ج1 ، القاهرة 1973م .
- ناصر النقشبندي : منشأ الخط العربي وتطوره لغاية عهد الخلفاء الراشدين ، مجلة سومر ، مج3 ، ج1 ، بغداد 1947م .
- ابن النديم (محمد بن إسحاق) : الفهرست ، تحقيق رضا - تجدد طهران 1971م .
- نصر الهوريني : المطالع النصرية للمطابع العصرية في الأصول الخطية ، ط2 ، بولاق 1902م .
- ابن وثيق (إبراهيم بن محمد الأندلسي) : الجامع لما يُحتاج إليه من رسم المصاحف ، تحقيق ا.د. غانم قدوري الحمد ، مطبعة العاني ، بغداد 1408هـ= 1988م .